أريج الأعطار في الذكر والأشعار

د. صديق عبد الرحمن إبراهيم موسى

أستاذ مشارك -قسم الأدب والنقد والبلاغة
كلية اللغة العربي- جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية

المستخلص:

تناول البحث الأعطار باعتبارها من مطالب النفس وجبرا للخواطر وتغذية للروح، هدف البحث إلي بيان منزلة العطر في الحياة الإنسانية وما يلعبه من دور إيجابي في تكوين النسيج الاجتماعي، وما يضطلع به من موجهات معنوية في إصلاح الحياة البشرية، والوقوف على العطر كسنة نبوية لها دور إعجازي في مسيرة حياة المسلمين، وما قرره القرآن الكريم من معاني الطيب ومشتقاته ومدلولاته، نبعت أهمية البحث من الوجود الفطري للعطر في المجتمعات الإنسانية، وما وجده من عناية في القرآن والسنة، وما أولاه الأدباء من الكتاب والشعراء من اهتمام كبير للأعطار.انتهج البحث المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي. خرج البحث في خاتمته بعدة نتائج لعل أهمها؛ العطر من دواعي الفطرةوجبر للخواطر وغذاء للروح، وكان الرسول لا يرد الطيب. وشملت معانيالطيب في الأدب المدح والهجاء والرثاء والتشبيهات والاستعارات والمجازات. وأن معاني الطيب في القرآن والسنة متعددة منها: البشرى والتسلية وبيان الإعجاز الرباني. أوصى البحث في نهايته بعدد من التوصيات مثل الالتزام بسنة العطر، والمحافظة على نظافة البدن بما يحفظ حقوق الآخرين، ويطيب خاطر الأسرة. وتهادي الطيب وكل ما له رائحة عطرة بين أفراد المجتمع.

كلمات مفتاحية: العطروالأعطار، الأدب، المدح، الرثاء والهجاء، الإعجاز الرباني، القرآن الكريم، السنة النبوية.

The perfume fragrant in Religion and Arabic literature

Dr.Siddig Abdul Rahman Ibrahim Musa- Co-professor

Abstract:

The research dealt with perfume as one of the demands of the soul, reparation for thoughts and nourishment for the soul. The aim of the research is to clarify the status of perfume in human life and the positive role it plays in the formation of the social fabric, and the moral directives it plays in reforming human life, and standing on perfume as a prophetic Sunnah that has a miraculous role. In the course of the lives of Muslims, and what the Holy Qur'an decided on the meanings of perfume and its derivatives and its implications, the importance of research stemmed from the innate presence of perfume in human societies, and the care it found in the Qur'an and Sunnah, and the great attention given by writers and poets to perfumes. The research adopted the inductive and descriptive analytical method. The research came out in its conclusion with several results, perhaps the most important of which are; Perfume is a reason for instinct, reparation for thoughts and food for the soul, and the Messenger did not reject perfume. The meanings of perfume in literature included praise, satire, lament, similes, metaphors, and metaphors. And that the meanings of perfume in the Qur'an and Sunnah are many, including: good tidings, amusement, and an explanation of the divine miracle. At the end of the research, the research recommended a number of recommendations, such as adherence to the Sunnah of perfume, and maintaining the cleanliness of the body in a way that preserves the rights of others, and pleases the family. And the good and all that has a fragrant smell among the members of the community. Keywords: perfume and perfumes, literature, praise, elegy and satire, divine miracles, the Noble Qur'an, the Sunnah of the Prophet.

تمهيد:

العطر مطلب فطري وروحي جابر للخواطر، له دوره في الحياة الإنسانية إيجابا وسلبا، ومعانيه في القرآن والسنة والأدب ثابتة حسيا ومعنويا، وللعطر دور في بناء النفس وتربيتها وتأسيس الأسرة، وتهذيب الذوق وترقية الآداب الإنسانية، وغياب الطيب يهدد الأسرة والمجتمع ووحدة الإنسانية، وجاءت معانيه للبشرى والتسلية وبيان الإعجاز الرباني، إلى جانب بعض موضوعات الشعر العربي، فالالتزام بسنة العطر صونلحقوق الآخرين.

المقدّمة:

العطر من أجمل مطالب النفس في الحياة، فهو يسمو بالروح ويحلق بها فوق الأماني،ويطوف بالإحساس على مدارج السرور، وأريج الأعطار شدة فوحها وقوة انتشارها، فالطيب يملك عنان النفسويوجه سلوكها، فإذا سرى نسيم العطور طربت القلوبوبرقت الأسارير وهاجت المشاعر، وعبرت الضمائر عن جميل المعاني، فكان العطر وما زال عاملا مؤثرا في حياة الناس فالفطرة السليمة مبنية على تنسم طيب الروائح، فكان رسول الله لا يرد الطيب فأصبحت الأعطار بذلك جبرا للخواطر، ولقد أصبح للعطر دوره في الحياة ومتغيراتها، فتحكم في بناء النفس وأسهم في تربية الفرد، وشارك في تأسيس الأسرة، وعمل على تهذيب الذوق العام وقام بترقية الآداب الإنسانية، وكان الطيب حافزا لإصلاح ذات البين، وتحسبن السلوك في المجتمع، وأصبحت العطور بحضورها وغيابها محل سخرية وتهكم بين الأدباء، ولقد زان بها الخلفاء مجالسهم وملأوا بها فراغهم،ومن جهة أخرى نجد أن الفراغ الذي تركه غياب الطيب شكل مهددا لهدم المجتمع وانهيار الأسرة وأسهم بطريقة مباشرة في تشتيت وحدة الإنسانية، وهتك نسيج الذوق العام وعرض الآداب البشرية إلى التنافر، ولقد عرفت البشرية عبر تاريخها الأدبي الذي مثله الشعراء والكتاب عرفت الأعطار ومكانتها ووظفتها التوظيف الأمثل بما يتماشى مع متطلبات النفس فحفلت الكتب والأسفار بمعاني الالتزام الأدبي للعطور وما أحدثته من مواقف ومتغيرات في حياة الناس وما مثلته من موضوعات على مختلف العصور،ونجد أن العطر اتسعت موضوعاته في الشعر والنثروما تم توثيقه في هذا الجانب شمل: المدح والهجاء والرثاء والعزاء والتهكم والصخرية والتندر والاحتكام الأدبي، وقرى الضيف، والتشاؤم، والفأل الحسن، والإخبار عن رضاء النفس وجمالها، ومضرب الأمثال، والتشبيهات والاستعارات والمجازات، ووصف الكون المنظور بالزينة المعنوية والمادية، والحماقة والضجر والتفكير السالب وغيرها من الموضوعات والاستعمالات. ولقد سلط البحث الضوء علىمدلولات ومعاني الطيب وموضوعاته في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومنها ما يلي: تعجيل البشرى وإدخال المسرة في النفس والتسلية وبيان الإعجاز الرباني، وجاء العطر دليل على النعيم والثواب والجزاء وتبشير المؤمنين في الدنيا، وتكريم الفائزين في الآخرة، وبيان منزلة الأنبياء وطيب أجسادهم، كما كان الطيب سببا لتصعيد خطاب الكراهية، وإفساد ذات البين، ونشوب الخلافات والهزيمة والخسارة في المواقف الخاصة، كما كان الطيب عاملا مهما في جبر الخواطر، وإصلاح ذات البين، والمواساة وتضميد الجراحات، وحقن الدماء ووقف الإحتراب، وحفظ الأمن، وإقامة الحدود الشرعية، وكان محل مدح من الله تعالى في العبادات، فالعطر إن لم يوظف التوظيف الأمثل فإنه يحمل الإنسانية إلى مهاوي الردى، ولقد جاء البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، ونتائج وتوصيات وزيلته بالمصادر والمراجع، وجاء المبحث الأول بعنوان: الأعطار في الشعر والنثر، المبحث الثاني بعنوان: الأعطار في القرآن الكريم والسنة النبوية، وانتهجت في البحث الاستقراء والوصف والتحليل.

الأعطار في الشعر والنثر:

إن أكثر ما يستهوي الكتاب والشعراء في الأدب كل ما يوصف بالجمال والعذوبة وكل ما كان له تأثير على النفس، ولقد كان دأب الأدباء تتبع مواطن السرور والبهجة ولذلك يتخيرون في كلامهم

ما تتذوقه النفس ويرتضيه الضمير، وكانت الأعطار ومشتقاتها جانبا مهما في موضوعات الأدب،وأول ما نبدأ به ذكر الأعطار في الشعر ما قاله الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى:

فَأَقْسَمْتُ بِالبيْتِ الذي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ
يَميناً لَنِعْمَ السَّيدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحيْلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُما عَبْساً وذُبْيَانَ بَعْدَما وَدَقّوا بَيْنَهم عِطرَ مَنْشَمِ[1]

استعمل الشاعر زهير العطر في الشدة وما تكرهه النفس وتنفر منه على غير المألوف من تأثير الأعطار بإدخالها السرور على النفس ولذا ذكر عطر منشم، بعد المدح: أي نعم السيدان وجدتما حيث تداركتما أمر هذين الحيين بعدما تفانوا في الحرب، فأصلحتم بينهم، ومنشم اسم امرأة عطارة من خزاعة، ويقال جرهمية، يشترى منها الحنوط، فإذا حاربوا كانوا يشترون منها الحنوط والكافور لموتاهم فتشأموا بها ويقال إن قوما تحالفوا، فأدخلوا أيديهم في عطرها، ليتحرموا به، ثم خرجوا إلى الحرب، فقتلوا جميعا فتشاءمت العرب بها: فصار هؤلاء بمنزلة أولئك في شدة الأمر، وقال أبو عمرو الشيباني منشم امرأة من خزاعة كانت تبيع عطرا، فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم فتشاءموا بها[2]. فالعطر جاء ذكره للتشاؤم، والفأل السيء بزعم العرب لأن التطييب يكون للموتى، سواء بسواء مع الأحياء.

قال الشاعر:

زهرت رياضك في فسيح زاهرعطر العشيّ ممسّك الأذيال
فكأنّ فار المسك يفتق ريحه في روضك الغدوات والآصال
ولربّ لابسة قناع تحية حوراء تخطب حسنها الآمال[3]

ذكر الشاعر في البيت الأول العطر صراحة ثم ذكر المسك وهو أطيب الروائح، وأعاد ذكر الطيب والمسك مرة أخري في البيت الثاني، ليبين المطلوب من ذكر الأعطار في البيت الثالث بقوله: ولربّ لابسة قناع تحية حوراء تخطب حسنها الآمال، لقد جاء الطيب متلازما مع الحسن والجمال، غير أن الطيب سبق الجمال بسريان أريجه ليكون مخبرا عن الجمال الذي ترتاح له النفس.وإذا كان العطر يحمل الفأل الحسن فإنه يعبر في طياته عن الشؤم وسوء الحظ، ومن ذلك ما ذكرته العرب وجري مجرى المثل في قولها لا عطر بعد عروس، وإن أول من قال ذلك امرأة من عذرة، يقال لها أسماء بنت عبدالله، وكان لها زوج من بنى عمها يقال له عروس، فمات عنها، فتزوجها رجل من قومها يقال له نوفل، وكان أعسر أبخر بخيلاً دميماً، فلما أراد أن يظعن بها قالت له: لو أذنت لي فرثيت ابن عمي وبكيتُ عند رمسه قال: افعلي، فأنشأت تقول: يا عروس الأعراس، يا أسداً عند الباس، مع أشياء ليس يعلمها الناس، قال نوفل: وما تلك الأشياء؟ قالت: كان عن الهمة غير نعاس، ويعمل السيف صبيحات الباس، ثم قالت: يا عروس الأعراس الأزهر، الطيب الخيم الكريم العنصر، مع أشياء ليس تذكر، قال: وما تلك الأشياء؟ قالت: كان عيوفاً للخنا والمنكر، طيب النكهة غير أبخر،فعرف أنها تعرض به، فلما رحل بها قال: أيتها المرأة ضُمّي عطرك ونظر إلى قشوةٍ فيها عطرها مطروحة فقالت: لا عطرَ بعد عروسٍ، فذهبت مثلاً.[4]

قال ابن الرومي:

ألـوفُ عطـرٍ تـذكي وهـي ذاكيةٌ إذا أسـاءت جـوارَ العطر أبدان
يعيـم كلُّ نهـار من مجامرها ويشـمسُ الليل منهـا فهو ضحيان
كأنهـا وعثـان النـد يشـملُها شـمسٌ عليهـا ضباباتٌوأدخـان[5]

اسـتعمل الشـاعر العطـر في المـدح بعـد أن فـاح أريجـه منتـشرا بالنهـار والليـل، ليـذكي حـول المحبوبـة بعـد أن شـبهها (وحولهـا دخـان العطـر) بالشـمس التـي يغطيهـا الضبـاب، فالمحبوبـة عنـد الشـاعر كالشـمس التـي تحيـل الليـل إلى نهـار.

قال محمد بن طاهر:

عيـون إذا عاينتهـا فكأنمـا دمـوع النـدى مـن فـوق أجفانها در
محاجرها بيض وأحداقها صفر وأجسـامها خضر وأنفاسـها عطر
بروضـة بسـتان كأن نباتـه تفتـح وشي حـين باكـره القطـر[6]

وهـذه الأبيـات للتشـبيب بالنسـاء وذكـر أحوالهـن وكثـير مـن الشـعراء يسـتخدمون مثـل هـذه التعبـيرات في أسـباب الهـوى ولا يـلام الباحثـون في هـذا الجانبمـن موضوعـات الشـعر العـربي أن يحملـوا المعنـى عـلى محـرم القـول فقـد ينطبـق عـلى المبـاح مـن القـول في حـق مـن يسـتعمله في الحـلال. ولقـد تعـود الأدبـاء عـلى الأخـذ بانطباعـات المظاهـر الطبيعيـة مـن حولهـم، ولذلـك يتأثـرون بمـا يؤثـر عـلى الـذوق العـام، ومـن ذلـك مـا جـاء في وصـف الربيـع وهـو محمـل بالأعطـار وأنـواع الطيـب، وأصنـاف الروائـح الجميلـة، ففـي سـحر البلاغة:قـد أقبـل الربيـع بأسـعد فالـه، والحسـن والطيـب في إقبالـه، أقبـل الربيـع يتبسـم، ويـكاد مـن الحسـن يتكلـم، تنفـس الربيـع عـن أنفـاس الأحبـاب، وأعـار الأرض أثـواب الشـباب، تنفـس فنفـس عـن المكـروب، وأهـدى الـروح والراحـة للقلـوب، اسـتخرج مـن زهـر البسـاتين، مـا دفنتـه يـد الكوانـين، جـاء يجـر أذيـال العرائـس، وينـشر أجنحـة الطواويـس، تبلـج عـن وجـه بهـج، وجـو غنـج، وروض أرج، وطـير مـزدوج، أقبـل برائحـة الجنـان، وراحـة الجنـان، أسـفر عـن ظـل سجسـج، ومـاء سلسـل وروض مدبـج، جـاء معيـداً للأنـس العـازب، ومطلعـاً للهـو الغـارب، تبلـج عـن نـوره، وتفتـح عـن نـوره، لاحـت منهجـه، وراقـت مباهجـه، مرحبـاً بالفصـل، الجامـع لأحـكام الفضـل، زائـر مـن القلـوب قريـب، وكلـه حسـن وطيـب، زائـر لباسـه حريـر، وأنفاسـه عبـير، انكشـفت غمـة الشـتاء الكالـح عـن غـرة الربيـع الضاحـك، أذال الربيـع أذيـال الحريـر، وعـبرت أنفاسـه عـن العبـير، تبـدل الشـباب مـن المشـيب، وبـرز في مطرفـه القشـيب، عطـر السـهول والوعـور، فعطـل المسـك والكافـور، الزمـان معتـدل، ووجهـه طلـق مقتبـل، وسـحابه ماطـر، وترابـه عاطـر، كأن الجنـة قـد نزلـت إلى الأرض في أبهـى حللهـا وأنفـس حلاهـا، ومـا تشـتهي الأنفـس وتلـذ الأعـين.[7]

قال البادي الأصفهاني:

صفـا المـاءُ فيـه وطـابَ الهـوى يحيلهـما نسـيمُ ريـحٍ عَطِـرْ
تـرى الزعفـرانَ بأعطافِـه يفـوحُ الـترابُ لـه المسـتعِرْ
واترجَّـهُ عاشـقٌ مدنَـفٌ إذا مـا رجـا طيـبَ وصـلٍ هُجـرْ[8]

هـذه الأبيـات جـاءت في وصـف الخريـف ومـا يحملـه مـن أنسـام عطـرة وريـح طيبـة مثـل الزغفـران والأتـرج، فالأبيـات الثلاثـة حـوت أنواعـا مـن الأعطـار التـي تـسر النفـس وتـشرح الضمـير، ولقـد دخلـت الأعطـار في الوصـف لمـا كان منظـورا في هـذا الكـون، لتجميـل صـورة المحسوسـات. وجـرت اختيـارات الشـعراء والكتـاب عـلى تحميـل الشـعر والنـثر معـاني العطـور ومشـتقات الطيـب، ومـن ذلـك في النـثر مـا جـاء عـن صاحـب التذكـرة الحمدونيـة قولـه: وصـف بعضهـم بـلاد الهنـد فقـال: بحرهـا درّ، وجبالهـا ياقـوت، وشـجرها عـود، وورقهـا عطـر، وقـال عبيداللـه بـن سـليمان في نهاونـد: أرضهـا الزعفـران، وسـماؤها الفاكهـة، وحيطانهـا الشـهد،وقال عمـرو بـن الليـث في نيسـابور: حجرهـا الفـيروزج، وترابهـا النقـل، وحشيشـها الريـاس،وقـال الحجـاج لعاملـه عـلى أصفهـان: قـد ولّيتـك بلـدة حجرهـا كحـل وذبابهـا النحـل وحشيشـها الزعفـران.[9]

لقـد اشـترك الكتـاب والشـعراء مـن الأدبـاء في نقـل معـاني العطـر وتوظيفـه في الشـعر والنـثر وبيـان مـا لـه مـن منزلـة في النفـس انتزعـت الـسرور والإعجـاب، في إظهـار الجـمال المعنـوي.

قال الشاعر:

فقـد يُسـامرُني في مجلـس عَطِـرٍ
شُـمُّ الأنـوفُ لهـم كُثْـبٌ وألـواح
وقـدْ أعـارُل جـمَاء العظـام عـلى
أنْيابهـا العنـبر الهنـدي والـرَّاح
قـد أصبـح الشـعر عمـري
لا رواة لـــــــه إن لم يكـن
مـن رواة الشعـــــر فيـداح[10]

ذكـر الشـاعر عطـر المجالـس وقـد يكـون العطـر ماديـا يمـس فيشـم معنويـا، وقـد يكـون العطـر معنويـا ابتـداء ويقصـد بـه مـا يعطـر المجالـس مـن جميـل الـكلام وأحسـن القـول، ويؤيـد مـا قلنـاه مـا جـاءفي العقـد الفريـد:مـن كـمال آل الكتابـة، أن يكـون الكاتـب نقـيّ الملبـس، نظيـف المجلـس، ظاهـر المـروءة، عطـر الرائحـة، دقيـق الذهـن صـادق الحـس، حسـن البيـان، رقيـق حـواشي اللسـان، حلو الإشـارة، مليـح الاسـتعارة، لطيـف المسـالك[11]. وعندمـا يعـبر الشـعر عـن القـول وجميـل الـكلام يكـون اسـتعارة, قال الشاعر:

يـا بنـي العطَّار يا عطرَ دَمشـقٍ قد ملكتـم بمزيد اللطف رّقي
فـاحَ في الكـون شـذاكم فائقاً طيبَ ورْد الروض في نشر ونشـق
أسَـماء المجـد سـامٍ فرعُكـم ولكـم أصـل نمـا مـن خـير عـرقٍ
يـا بـدور الشـام يـا أهـل العـلا ضوءكـم لاح بغـرب وبـشرقِ
سـدتُم النـاس بعلـم وتُقـىً وبمعـروف وإحسـان ورفـقِ
فـإذا رام مجـاراةً لكـم ذو اعتـلاءِ فلكـم أقصـاب سـبق[12]

لقـد مـدح الشـاعر بنـي العطـار في دمشـق، وهـو العطـر الـذي انتسـبت إليـه تلـك الأسرة، ولكـن

العطر عطران في حق بي العطار فالعطر الأول الطيب الذي يتعطر به كافة الناس أما العطر الثاني فهو العطر المعنوي الذي هو كناية عن العلم، عندما قال: فاحَ في الكون شذاكم فائقاً طيبَ ورْد الروض في نشر ونشق، فالذي انتشر في الكون هو علم المعرفة، وهكذا كان العطر مجازا من موضوعات المدح الرفيعة.

لقد اعتنى كتاب النثر بالكلام وجعلوه في مكان الطيب الذي به تطيب المجالس فيقبل عليها أهل الحاجة وهي تجذبهم جذبا كما يستهوي العطر النفوس، ولأجل ذلك رفعوا من قدر الكلام النافع، ولقد جاء في نفح الطيب: الكلام وكلاه، وقصرت ألسن البلغاء عن علاه، وزانت صدور الدواوين حلاه، وجمع خلالاً حسناً، وكان للدين لساناً، وزاحمت مفاخره بالمناكب الكواكب، وازدانت بمرآه النوادي والمواكب، ونفحات الأزهار من آدابه، ونسمات الأسحار عطر أذياله وأهدابه، والسحر من كتابته، والسحر من كنايته، وروح النسيم من تعريضه، والنثرة من نثره، والشعري من شعره وقريضه، وحلل المجد لباسه، وأنواره العلم اقتباسه[13]. ويصب هذا الكلام في الاستعمالات المجازية من الاستعارات للطيب ومشتقاته.

قال الشاعر:

فيها شكولٌ من العشاقِ ظاهره تصعيدُ أنفاسها والدَّمعُ منحدر
قد أُرضِعَتْ بلبانِ الأري ناشئةً فنشرها عَبِقٌ وطيبها عطر
ترنو بعينٍ لها نُورٌ تصرّفه كأنه من عمودِ الصبح منفجر
حتى إذا قُرنت كان الجلاءُ لها فَقْأَ السّوادِ فعاد النور ينتشر[14]

هذا الشاعر وصف رائحة الممدوحة بأنها نشر وطيب وعبق وعطر جعل هذه المنازل المتعددة للطيب في الشطر الثاني من البيت الثاني وهذه رؤيته الخاصة في هذا الجانب كغيره من الشعراء بحسب ما أملته عليه مشاعره، ولا شك أن انطباعات الأدباء تتفاوت بحسب الذوق الذي يمتاز به كل واحد منهم.

قال صاحب كتاب في الميزان الجديد: وإذا صح أن معطيات الحواس تتلاقى في النفس التي تكون كلا لا يعرف تقاسيم العقل، استطعنا أن نفهم معنى الخلق الفني عند الشعراء؛ إذا كثيرا ما يكون بفضل إمكان تبادل الحواس صورها إمكانا نفسيا لا شك فيه، فهذا شاعر إنجليزي يطيل التحديق في ضوء المصباح فيقول: «إنه أخذ ينظر إلى الصمت في جوف الضياء»، وذلك آخر فرنسي يتحدث عن أزهار الربيع التي ترسل عطرها إلى السماء كما يرتفع البخور إلى قباب الكنائس، فترى الأول وقد تمثل الصمت شجا يرى، بينما بعثت نشوة الربيع بالآخر ما يشبه إيمان اليافع في قوته، فرأى الطبيعة معبدا تحوطه آفاق السماء وكأن عطر الزهر بخور، ومن الشعراء من يذكر «شربه» «للون» الشمس السائل، ومنهم من «يرى» ضوء أمسية الخريف في نعومة اللؤلؤ.[15]

قال عبد الله بن المعتزّ:

محاجرها بيض وأحداقها صفر وأجسامها خضر وأنفاسها عطر
عيون اذا عاينتها فكأنّما مدامعها من فوق أجفانها درّ[16]

الشاعر يصف أنفاس الممدوحة بأنها عطر فجاء الطيب ليبين ما يتصل بالجسد ويتعلق به، وإذا كان الخارج من الجسد عطرا يسر النفس فقد يكون الخارج غير ذلك فإذا غاب الطيب وفُقد فلا يُؤمن أن يحل مكانه غيره، ولذلك كانت هذه الملاحظة بمثابة نقطة تحول من موقف إلى آخر، ولم يقفل الأدباء هذا الجانب فقد أشاروا إليه في كتاباتهموجعلوه من النوادر وأسباب الفكاهة والتسلية ومن ذلك ما جاء في بلاغات النساء: أن الفرزدق مر راكباً على بغلة حتى وقف على دار قوم واذا امرأة مشرفة عليه فنظر إليها وهي تضحك وقد ضرطت بغلته تحته، فقال ما أضحكك فو الله ما حملتني انثى قط إلا وضرطت، قالت فلأمك الهبل إذا والخزي فإنها حملتك تسعة أشهر فكانت في ضراط إلى أن وضعتك، فأفحمته.[17]

هكذا جاء الذوق لدى تلك المرأة، والفرزدق يقصد بقوله ما حملتني أنثي يعني أنثي البغال، ولكن المعنى عام فتبادر إلى ذهن المرأة حمل الأجنة فهذا شأنهن فردت عليه بحمل أمه له تسعة أشهر فكانت طرفة أحدثها الضراط في غير مطلب فهو ضد العطر فأقترن بذكره. ولقد تركت ظلال الطيب آثارها على الأدباء حتى كانت جزءا من محاكماتهم، ذكر صاحب الموشح: أن محمد بن معدان قال: كنت في مسجد الرّصافة، فاختلف قوم في أبي نواس والفضل الرقاشي أيهما أشعر، فتراضوا بأبي على الهبّاري، وكان من أهل الأدب، فتحاكموا إليه فقالوا: إن بعضنا قدّم أبا نواس، وبعضنا قدم الفضل الرقاشي، فما تقول أنت؟ قال: أقول إنّ ضراط أبي نواس في سجيّن أكثر من حسنات الرقاشي في عليين.[18]

هذه المحاكمة الأدبية جاءت لتبين أن أبا نواس كثير الضراط هذا من جهة الكم، وقد تحمل المحاكمة معنى آخر من جهة الكيف، وهو أن حسنات الرقاشي كثيرة وهي في تناسب عكسي مع ضراط أبي نواس الذي يعد تحت الصفر في عد تنازلي، لقد لعب العطر دورا أدبيا في هذه المحاكمة إذ ان أن غيابه أتاح الفرصة لظهور الضراط بمعانيه التي يعيبها الجميع، فكلما ظهر الضراط يكون تأثيره على حساب العطر. وفي الواقع أن التندر بالضراط كان سمة عند الأدباء ومجالس الرؤساء ففي نثر الدر:قَالَ الْمَأْمُون لحاتم الريش وَكَانَ ضراطاً: أَنْت أَمِير الضراطين، فقَالَ: أَنا أوسع مِنْك سُلْطَانا إِذن، لِأَن الْإِيمَان خَاص، والضراط عَام، وكَانَ بالأهواز عاملٌ أَصمّ، وَكَانَ يضرط فِي مَجْلِسه، ويحسب أَنه يفسو، فضرط مرّة بَين أهل عمله وَبَين يَدَيْهِ كَاتب لَهُ، فَأخذ كَاتبه رقْعَة وَكتب فِيهَا: أصلح الله الْأَمِير إِن هَذَا الَّذِي يخرج ضراط يُسمع، وَهُوَ يرى أَنه فسَاء يخفى، فَإِن رأى أَن يمسك، فعل إِن شَاءَ الله، فَوَقَّع فِي حَاشِيَته: إِنَّمَا استكفيناك أَمر خراجنا، وَلم نصدرك على ضراطنا[19]. والفرق بين الفساء والضراط، إن الأول لا صوت له وأن رائحته تباقت الحضور، بينما الثاني يخرج وله فرقعة فهي بمثابة الإنذار لمن حوله لتوقُّع رائحته، أما الصفة المشتركة بينهما فهما سواء فيالإنتان والتسبب في التأفف وإبداء الضجر ودغدغة الحماقة والتفكير السالب، ورفع صوت الكراهية،والفرار نجيا، فالفساء درجات.

قال الحريري:

سَأَلْتُهَا حِينَ زَارَتْ نَضْوَ بُرْقُعِهَا الْقَانِي وإِيدَاعَ سَمْعِي أَطْيَبَ الْخَبَرِ
فَزَحْزَتْ شَفَقاً غَشَّى سَنَا قَمَرٍ وسَاقَطَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ خَاتَمٍ عَطِرِ[20]

معنى البيتين: نَضْوَ بُرْقُعِهَا أي إزَالَتَهُ وإلْقاءَه، والْبُرقُع قناع تُغَطّي به المرأة وجهها، يقال نضا الشيءَ إذا نزعَهُ وألقاه، والمعنى سألتها أنْ تُزِيل القناع عن وجهها، القاني أي الأحمر، أطلق الحريري كلمة «شَفَقاً» وأراد الْبُرْقُعَ، على سبيل الاستعارة التصريحيّة، وأطلقَ كلمة «قَمَر» وأراد وجْهَ حسنائه، وأطلَقَ كلمة «لُؤْلُؤاً» وأراد كلامَها، وأطلق كلمة «خَاتم» وأراد فَمَها، كلُّ هذا على سبيل الاستعارة التصريحيّة، إذ جاء في هذه الإطلاقات التصريح بذوات الألفاظ المستعارة، والشاعر يقصد بالعطر الذي تساقط من الخاتم حلو الكلام وطيبه، فالعطر استعمل في الاستعارة.

يا نسيماً عطّر الأرجاء، هل بعثوا ضمنك ما يشفي الكرب
خلع الروض عليه زهره حين وافى من ذراكم فعل صبّ
فأبى إلا شذاه فانثنى حاملاً من عرفه ما قد غصب
باكر اللهو ومن شاء عتب لا يلذّ العيش إلاّ بالطّرب
ما توانى من رأى الزهر زها والصّبا تمرح في الرّوض خبب(21)

ذكر الشاعر كيف أن النسيم عطر الأجواء، ثم ذكر الشذا والعرف وجميعها من الأعطار، وأصل النسيم ما يهب حاملا البشريات، وبعض الكتاب تعامل مع النسيم وكأنه إنسان يسير بقدميه مستخدمين في ذلك فن الاستعارة التصريحية، ومن ذلك ما تناوله صاحب كتاب كشف الأسرار بقوله: أول ما سمعت همهمة النسيم، يترنّم بصوته الرخيم، يقول بلسان حاله، عن صريح لفظه ومقاله: أنا رسول كل محب إلى حبيبه وحامل شكوى كل عليل إلى طبيبه، إن استودعت سِرّاً أديته كما استودعته، وإن حُمّلتُ نشراً رويته كما سمعته، وإن صحبتُ مصحوباً اتّحدتُ فيه بلطافة إيناسي، ومازجته بصفاء أنفاسي، فإن طاب طبت، وإن خبث خبثت، كما قال الشاعر:

الرَّاحُ كالرِّيحِ إن مرَّت عَلَى عَطِرٍ طَابت، وتَخْبُثُ إنْ مَرَّت على الجيفِ

ثم إني إن اعتللت صحّ بي العليل، وحيث حللت طاب بي المقيل، وإن تنفّست تنفّس المشتاق، وإن نمّت توسوست العشّاق.[22]

قال الناجم:

أضحى الثرى بجوارها عطر المسالك والمسارب
حلت حفيرتها حلول المسك في سرر الكواعب
يا درة كانت تضيء لناظر من كل جانب(23)

الشاعر يرثي عجائب جاريةَ ابن مروان في هذه الأبيات، وذكر العطر الذي يفوح من الثريفي مكان قبرها، ثم يقول إنها حلت بقبرها كما يحل المسك في أسرّة الفتيات المنعمات فالشاعر استعمل العطر في أعلى صوره وهو المسك استعمله في الرثاء وهو أحد موضوعات الشعر العربي.

قال الشاعر:

يا واليا عزّ الولاية عزّه فسطا لذاك على الأنام وتاها
أقصر فذلّ العزّ يتبع عزّه عطر الولاية لا يفي بفساها(24)

استعمل الشاعر نوبة الفساء كمتلازمة طباق للعطر عند غيابه أو تغييبه قسرا، فالعطر كان السبب في الإنتقال إلى الفساء لاستخدامه في الهجاء وهو ما نجح فيه الشاعر بعد ذكر الفساء الذي عم وطم ليأتي بعطر الولاية كلها ويتبعه ذلك الفساء للتخلص منه دون جدوى، فالعطر هنا ليسسندا للفساء إنما للهجاء الذي يعد أحد موضوعات الشعر العربي.

قال الشاعر:

نفحات من الفراديس رفت أقحوانًا وأرجوانًا ورندا
عب منها الهواء عطرًا وذابت فوق صدر الفضاء مسكًا وندا
كلما هبت الصبا هبت الروح طيوفًا وردّد الفكر أصدا
تلك آثارهم وهذي مغانيهم وروض الشباب ما زال يندى
أرج شيق العبير وروح عطر الكون بالجمال وندى[25]

ذكر الشاعر نفحات الطيب من الفراديس وأزهارها من الأقحوان والأرجوان والرند، كل هذه الأعطارفاحت من مصادرها في الهواء عطرا وذابت في الفضاء مسكا وندا، ثم ذكر في البيت الأخير الأريج والعبير تصريحا، وكل هذا الموكب من العطور ليضفي جمالا لهذا الكون فوق جماله الطبيعي الذي هو من عند الله.

قال أبن السيد:

عزاء بني عبد العزيز وإن خلا من المجد مغناه وهد مناره
لكم شرف أرسي قواعد بيته أبو بكر الساري إليكم نجاره
أجل وزي، عطر الأرض ذكره وأخجل زهر النيرات فخاره
فلو كان للعلياء جيد، ومعصم لأصبح منكم عقده وسواره[26]

في هذه القصيدة يعزى الشاعر بني عبد العزيز فيالخليفة المأمون، ويذكر شرفهم وتعطيرهم للأرض بالفخر والعز، فالعطر للعزاء في فقد الممدوح، وهو استخدام مجاوزي. وإلى جانب هذه الموضوعات نجد العرب تستخدم العطر في القرى وإكرام الضيف، ومن ذلك ما جاء في كتاب خزانة الأدب عن العرب:كَانُوا يوقدونَنَار الضِّيَافَة على الْأَمَاكِن المرتفعة لتَكون أشهر وَرُبمَا يوقدونها بالمندلي الرطب وَهُوَ عطر ينْسب إِلَى منْدَل وَهُوَ بلد من بِلَاد الْهِنْد وَنَحْوه مِمَّا يتبخر بِهِ ليهتدي إِلَيْهَا العميان، وَهِي نَار الْقرى توقد لاستدلال الأضياف بهَا على الْمنزل، وَأول من أوقد النَّار بِالْمُزْدَلِفَةِ حَتَّى يَرَاهَا من دفع من عَرَفَة قصي بن كلاب[27]. إن هذا قمة الكرم فالعطر لمن يشم ولا يري.

نجد أن العطر اتسعت موضوعاته لتشمل المدح والهجاء والرثاء والعزاء والتهكم والصخرية والتندر والاحتكام الأدبي، وقرى الضيف، والتشاؤم، والفأل الحسن، والإخبار عن رضاء النفس وجمالها، ومضرب الأمثال، والتشبيهات والاستعارات والمجازات، ووصف الكون المنظور بالزينة المعنوية والمادية، والحماقة والضجر والتفكير السالب وغيرها كم الموضوعات والاستعمالات.

الأعطار في القرآن والسنة:

إن القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة هما الذكر الذي جعله الله عبادة لخلقه من الإنس والجن، وما من أدب أو خبر في الدنيا إلا وأحاطت به متون كتب العلم من الكتاب والسنة، وإن كل ما يحوى مصلحة للبشر نجد تفسيره في الذكر الحكيم، ولذلك جاء الربط بين الآداب الاجتماعية والقرآن العظيم الذي تفوق على جميع النظريات الإنسانية، ومن معاني تلك السلوكيات أدب الأعطارالذي أولاه الشرع اهتماما كبيرا لقيمته الحيوية وتأثيره المباشر في الحياة، وفي هذا المبحث نقف عند تلك القيم الواردة في القرآن العظيم والسنة المطهرة لنبين الأبعاد المعنوية للطيب وموضوعاته الأدبية.

قال الله تعالى: (وَلَـمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) [28] جاء في تفسير الآية: أن الريح استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير، فأذن لها، فأتته بها، وعن أبي أيوب قال، استأذنت الريح أن تأتي يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيه البشير، ففعل قال يعقوب (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) وعن ابن عباسقال: هاجت ريح، فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليالٍ[29].

إن ريح يوسف جاءت مع الرياح بالبشريات إلي أبيه ولا شك في أنها طيبة إذ أنها ريح نبي، وهكذا كان عطرها تنفيسا لكربة نبي الله يوسف عليه السلام، فكان ذلك من موضوعات الطيبوهذه نقطة تحول كبرى في تلك السيرة وهي من معجزات الله تعالى.

قال الله تعالى: (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) [30] جاء في المعنى: فَلَهُمْ رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ، وَتُبَشِّرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ: أَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ تَقُولُ: «أَيَّتُهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، اخْرُجِي إِلَى رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ"، قَالَ عَلِيُّ بْنُ طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {فَرَوْحٌ} يَقُولُ: راحة وريحانمستراحة، والريحان: الطيب، وهو دليل النعيم، والريحان ما تنبسط إليه النفوس[31].

والطيب كما في التفسير هو دليل النعيم، فروح المؤمن تكون طيبة يوجد ريحها من بعيد في إشارة إلىما خصه الله بها من صفة طيبة وهذه بشري من الله تعالى لعباده الصالحين.

قال الله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً) [32] قال صاحب لطائف الإشارات: الأبرار هم الذين سمت همّتهم عن المستحقرات، وظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة فاتّقوا عن مساكنة الدنيا، يشربون من كأس رائحتها كرائحة الكافور، أو ممزوجة بالكافور، ويقال: اختلفت مشاربهم في الآخرة فكلّ يسقى بما يليق بحاله وكذلك في الدنيا مشاربهم مختلفة[33]. والكافور من أنواع الطيب لأهل الجنة وهو للجزاء والثواب ومن بشريات الأبرار الذين عبدوا الله كما أمر في الحياة الدنيا.

قال الله تعالى: (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) [34] الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ: هُوَ الْحُبُّ الَّذِي لِنَبَاتِهِ سَنَابِلُ وَلَهَا وَرَقٌ وَقَصَبٌ فَيَصِيرُ تِبْنًا، وَذَلِكَ الْوَرَقُ وَالْقَصَبُ هُوَ الْعَصْفُ، أَيِ الَّذِي تَعْصِفُهُ الرِّيَاحُ وَهَذَا وَصْفٌ لِحَبِّ الشَّعِيرِ وَالْحِنْطَةِ وَبِهِمَا قِوَامُ حَيَاةِ مُعْظَمِ النَّاسِ وَكَذَلِكَ مَا أَشْبَهَهُمَا

مِنْ نَحْوِ السَّلْتِ وَالْأُرْز، وَسُمِّيَ الْعَصْفُ عَصْفًا لِأَنَّ الرِّيَاحَ تَعْصِفُهُ، أَيْ تُحَرِّكُهُ وَوَصَفَ الْحَبَّ بِأَنَّهُ ذُوالْعَصْفِلِلتَّحْسِينِ وَلِلتَّذْكِيرِ بِمِنَّةِ جَمَالِ الزَّرْعِ حِينَ ظُهُورِهِ فِي سُنْبُلِهِ فِي حُقُولِهِ، نَظِيرَ وَصْفِ النَّخْلِ بِذَاتِ الْأَكْمَامِ وَلِأَنَّ فِي الْمَوْصُوفِ وَوَصْفِهِ أَقْوَاتَ الْبَشَرِ وَحَيَوَانِهِمْ، والرَّيْحَانُ: مَا لَهُ رَائِحَةٌ ذَكِيَّةٌ مِنَ الْأَزْهَارِ وَالْحَشَائِشِ وَهُوَ فَعْلَانُ مِنَ الرَّائِحَةِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِهِ مَا لَهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، وَهَذَا اعْتِبَارٌ وَامْتِنَانٌ بِالنَّبَاتِ الْمُودَعَةِ فِيهِ الْأَطْيَابُ مِثْلَ الْوَرْدِ وَالْيَاسَمِينِ وَمَا يُسَمَّى بالريحان الْأَخْضَر[35].

فالريحان ما فاحت رائحته من مصادرها مثل الأزهار والحشائش والنباتات طيبة الرائحة، وهذا من جميل صنع الله وخلقه وبيان قدرته وإعجازه.

قال الله تعالى: (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مختوم) [36]المعنى: الرحيق من الخمر ما لا غش فيه، ولا شيء يفسده، مَخْتُومٍ وهو الذي له ختام، أي: عاقبةوقال مجاهد: مختوم مطين، كأنه ذهب إلى معنى الختم الطين، ويكون المعنى: أنه ممنوع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار، ثم فسر المختوم، بقوله: ختامه مسك أي: آخر طعمه ريح المسك، إذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه، وجد ريحه كريح المسك[37]، الرحيق ما كان له رائحة طيبة فالأعطار جاءت في القرآن الكريم لتكريم الفائزين في الدار الباقية وتبشير المؤمنين في الدار الفانية.

وعن سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ صَامَ لِلَّهِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ سَقَاهُ اللَّهُ عَلَى الظَّمَأِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ) وهذا الحديث عن الرحيق المختوم يؤيد معنى الآية آنفة الذكر، ومعنى: ختامه عاقبته، وما يختم به، والمعنى: لذاذة المقطع، وذكاء الرائحة، والختام آخر كل شيء، وقال مجاهد: طيبه مسك، وهو قول ابن زيد، قال: ختامه عند الله مسك، وختامها اليوم في الدنيا طين.[38]

جاء في شرح كتاب رياض الصالحين: وكذلك أيضاً رائحته صلى الله عليه وسلم، ما شم طيباً قط أحسن من رائحة النبي، وكان عليه الصلاة والسلام طيب الريح كثير استعمال الطيب، قال: (حُبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة) هو نفسه طيب صلى الله عليه وسلم، حتى كان الناس يتبادرون إلى أخذ عرقه صلى الله عليه وسلم من حسنه وطيبه، ويتبركون به؛ لأن من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم أننا نتبرك بعرقه وبريقه وبثيابه، أما غير الرسول فلا يتبرك بعرقه ولا بثيابه ولا بريقه[39].وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)[40]فبهذا الحديث أصبح الطيب سنة من سنن المسلمين.

قال بن عَبَّاسٍ:مَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا بِالسِّوَاكِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُنْزَلُ عَلَيْهِ فِيهِ، وَكَانَ سِوَاكُ الْقَوْمِ الْأَرَاكَ وَالْبَشَامَ وَكُلَّ مَا يَجْلُو الْأَسْنَانَ وَلَا يُؤْذِيهَا وَيُطَيِّبُ نَكْهَةَ الفم فجائز الاستنان بهوَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِالسِّوَاكِ، وَكَانَ رُبَّمَا اسْتَاكَ فِي اللَّيْلَةِ مِرَارًا.[41]

نعم إن السواك من سنن الفطرة للرجل والمرأة ولا يستغنى عنه أي منهما خاصة الزوجين، فكثرا ما يؤدي ترك السواك إلى انبعاث رائحة منتنة مخالفة لطيب الفم والأنفاس، وهذا ما يدعو إلى تبرم وامتعاض أحد الزوجين لما يجده من مضايقة من تلك الروائح، وقد يتطور الأمر

إلى الكراهية ثم سوء التفاهم وحدوث الخلافات، فانعدام الرائحة الطيبة المحمودة من الفم تعد حربا على صاحبها تؤدي إلى هزيمته في المواقف الخاصة، وقد تؤدي إلى خسارته الأسرية، وتحميله من المشاكل ما لا يطيق، فهذه مكانة الأعطار تكون لجبر الخواطر وتضميد جراحات الأسرة وإصلاح ذات البين.

ولقد جاء في كتاب أخلاق الوزيرين: نَفَسُك فُساء، وخَشمك خَراء، وريقك ماءُ العَذِرة، وكل خِلالك قذرة؛ وأنت للأحرار عيّاب، وبين الكرام نمّام، وأنت للأُدباء حاسد، وللعلماء شاتم، وبالجليس هامز، وفي المُحسن إليك غامز، تُظهر جورَك، وتتعدّى طورك، مَهين في نفسك، عُرَّة في جنسك، حالف في كل حق وباطل، كذوب على الجادّ والهازل، تطلب أن تُهجى، وقد سبق القول في مثلك، مع نذالة فعلك، ولؤم أصلك.

أَما الهِجاءُ فَدَقَّ عِرضُك دونَه
والمَدْحُ عَنك كما علِمت جَليلُ
فاذهَب فأَنت طليق عِرضِك إنَّه
عِرضٌ عززتَ به وأَنت ذَليلُ(42)

ففي هذا النص نجد أن الذي فتح باب الغضب والهجاء إنما هو رائحة الفم التي وصفت بأنها: فساء وخراء وماء عذرة فما الذي يوقف سيل الكلام بعد هذا الموقف فكل ما جاء من كلام بعد ذلك سببه رائحة الفم، ومثل هذا السباب إن لم يحتمله الطرف الآخر قد يؤدي إلى الاحتراب والاقتتالوما لا يحمد عقباه من ضرب وإراقة دماء أو قتل، فأنظر إلى الطيب كيف يكون سببا لحقن الدماء والمواساة وحفظ الأمن.

نجد الطيب صماما لأمن المجتمع وصونه،والتحكم في استعماله سلامة من الأذى وصون للعرض وحفاظ على نسيج المجتمع ففي الحديث: (إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي زانية)[43]،جاء في شرح الحديث: إذا استعطرت المرأة أي استعملت العطر والطيب الظاهر ريحه في بدنها أو ملبوسها فمرت على القوم من الرجال ليجدواأو يشموا ريحهاوعطرها فهي زانية، أي هي بسبب ذلك متعرضة للزنا ساعية في أسبابه داعية إلى طلابه فسميت لذلك زانية مجازا ومجامع الرجال قلما تخلو ممن في قلبه شدة شبق لهن سيما مع التعطر فربما غلبت الشهوة وصمم العزم فوقع الزنا الحقيقي ومثل مرورها بالرجال قعودها في طريقهم ليمروا بها.[44]وهذه جريمة مجتمع تسير على قدميها يحفها الموت من كل جانب، فالوقوع في أعراض الآخرين سبب مباشر للإحتراب، ولو أن جريمة الزنا وقعت فيعني ذلك إقامة الحد الشرعي على الجناة ويصل إلى حد الإعدام عند الثيب الزاني، وكل ذلك بسبب الطيب، فأريجالأعطار يحمل الإنسانية إلى مهاوي الردي إذا لم يوظف التوظيف الأمثل.وجاء في الطيب للمرأة عند غسل الحيض، ما صح عن جمهور الأئمة العلماء بالحديث والفقه: أن غسل المحيض يستحب فيهِ استعمال المسك، والنفاس كالحيض في ذلك، وقد نص على ذَلِكَ الشَافِعي وقال أحمد: يستحب للمرأة إذا هي خرجت مِن حيضها أن تمسك معَ القطنة شيئاً مِن المسك، ليقطع عنها.[45] وقال الإمام أحمد ليقطع عنها، أي ما يوجد

من رائحة،وهذا أمر ملاحظ تعرفه المرأة بالفطرة فالمطلوب الاجتهاد في إخفاء ما يتوقع من رائحة، وفي هذا مسئولية إنسانية من شأنها رفع معدل حسن التعامل بين الزوجين وبالتالي تحقيق التوفيق بمعونة المولى عز وجل، والإهمال في هذا الجانب لا يقل عنترك سنة السواك، ولقد ذكر المسك في هذا الشأن لقوة طيبه وحسن رائحته فالأمر في هذا الخصوص معين على العبادة، وهذا محل اجتهاد العبد لمرضاة المولى عز وجل، فمثل هذه الروائح في بعض الأحوال الخارجة عن إرادة الإنسان تكون محل مدح، ففي الحديث: عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ النَّبِيّ، عليه السَّلام، (لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ)[46]،فالمسك أطيب الطيب، وقد روى ذلك عن النبي عليه السلام من حديث أبي سعيد الخدري، وهذا الحديث يشهد لحديث أبي سعيد، لأنه لو كان في الطيب فوق المسك لضرب به المثل عند الله كما ضرب بالمسك[47].فالمسك من أطيب الطيبات في الأعطارولذلك حث الشرع على استعماله وليس كل رائحة منبعثة عن الإنسان تكون محل ذم، فالخلوف الذي يخرج من الفم مصدره الجوف وما يلي المعدة، وهذا ما لا يمكن تجنيه، فالمطلوب شرعا إزالة ما يمكن إزالته من روائح، وهكذا كرَّم الله الإنسان فكانت رائحته في بعض المواقف محل مدح وثواب.

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث نجد أن الأعطارمن مطالب النفس وعاملا مؤثرا في الفطرة السليمة، فكان رسول الله لا يرد الطيب فأصبحت الأعطار بذلك جبرا للخواطر وتغذية للروح،ولقد أصبح للعطر دوره في الحياة ومتغيراتها، فأسهم في بناء النفس،وتربية الفرد، وتأسيس الأسرة، وتهذيب الذوق العام، وترقية الآداب الإنسانية، وكان الطيب حافزا لإصلاح ذات البين، وتحسين السلوك في المجتمع، وأصبحت العطور بحضورها وغيابها محل سخرية وتهكم بين الأدباء، ولقد زان بها الخلفاء مجالسهم وملأوا بها فراغهم، ومن جهة أخرى نجد أن الفراغ الذي تركه غياب الطيب شكل مهددا لهدم المجتمع وإنهيار الأسرة وأسهم بطريقة مباشرة في تشتيت وحدة الإنسانية، وهتك نسيج الذوق العام وعرض الآداب البشرية إلى التنافر، ولقد عرفت البشرية عبر تاريخها الأدبي الأعطار ومكانتها ووظفتها التوظيف الأمثل، ونجد أن العطر اتسعت موضوعاته في الشعر والنثر لتشمل: المدح والهجاء والرثاء والعزاء والتهكم والصخرية والتندر والاحتكام الأدبي، وقرى الضيف، والتشاؤم، والفأل الحسن، والإخبار عن رضاء النفس وجمالها، ومضرب الأمثال، والتشبيهات والاستعارات والمجازات، ووصف الكون المنظور بالزينة المعنوية والمادية، والحماقة والضجر والتفكير السالب وغيرها من الموضوعات والاستعمالات، وأثبت البحث أن مدلولات ومعاني الطيب وموضوعاته جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية بمعاني متعددة منها: تعجيل البشرى وإدخال المسرة في النفس والتسلية وبيان الإعجاز الرباني، وجاء العطر دليل على النعيم والثواب والجزاء وتبشير المؤمنين في الدنيا، وتكريم الفائزين في الآخرة، وبيان منزلة الأنبياء وطيب أجسادهم، كما كان غياب الطيب سببا لتصعيد خطاب الكراهية، وإفساد ذات البين، ونشوب الخلافات والهزيمة والخسارة في المواقف الخاصة، وكان الطيب عاملا مهما في جبر الخواطر، وإصلاح ذات البين، والمواساة وتضميد الجراحات،

وحقن الدماء ووقف الإحتراب، وحفظ الأمن، وإقامة الحدود الشرعية، وكان محل مدح من الله تعالى في العبادات، فالعطر إن لم يوظف التوظيف الأمثل فإنه يحمل الإنسانية إلى مهاوي الردى.

النتائج:

1. العطر من دواعي الفطرةوجبر للخواطر وغذاء للروح، وكان الرسول لا يرد الطيب.
2. أسهم العطر في بناء وتربية النفس وتأسيس الأسرة، وتهذيب الذوق وترقية الآداب الإنسانية.
3. الأعطار بحضورها وغيابها، زان بها الخلفاء مجالسهم وملأوا بها فراغهم.
4. عدم التوظيف الأمثلللطيب شكل مهددا لهدم الأسرة والمجتمع، ووحدة الإنسانية.
5. شملت معانيالطيب في الأدب المدح والهجاء والرثاء والتشبيهات والاستعارات والمجازات.
6. معاني الطيب في القرآن والسنة متعددة منها: البشرى والتسلية وبيان الإعجاز الرباني.

التوصيات:

1. الإلتزام بسنة العطر
2. المحافظة على نظافة البدن بما يحفظ حقوق الآخرين، ويطيب خاطر الأسرة.
3. تهادي الطيب وكل ما له رائحة عطرة بين أفراد المجتمع.

الهوامش:

(1)أبـو زيـد محمـد بـن أبي الخطـاب القـرشي، جمهـرة أشـعار العـرب، نهضـة مـصر للطباعـة والنـشر والتوزيــع، ص161

(2)أبو عمرو الشيباني، شرح المعلقات التسع، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ ص194

(3)أبـو بكـر محمـد بـن يحيـى بـن عبـد اللـه الصـولي، الأوراق قسـم أخبـار الشـعراء، شركـة أمـل، القاهرة، 1425هـ ج1، ص107

(4)المفضل بن سلمة بن عاص، الفاخر، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولى، 1380هـ ص211

(5)أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، ج1، ص259

(6)أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ 1988م، ج1، ص183

(7)عبد الملك بن محمد الثعالبي، سحر البلاغة وسر البراعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص13

(8)عبد الملك بن محمد الثعالبي، من غاب عنه المطرب، المطبعة الأدبية، بيروت، 1309هـ ص40

(9)محمـد بـن الحسـن بـن محمـد أبـو المعـالي، التذكـرة الحمدونيـة، دار صـادر، بـيروت، الطبعـة الأولى، 1417هـ ج8، ص143

(10)أحمـد بـن الأمـين الشّـنْقِيطي، الوسـيط في تراجـم أدبـاء شـنقيط، الشركـة الدوليـة للطباعـة، مـصر، الطبعـة الخامسـة، 2002م، ح1، ص304

(11)شـهاب الديـن أحمـد بـن عبـد ربـه الأندلـسي، العقـد الفريـد، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، الطبعـة الأولى، 1404هـ، ج4، ص253

(12)رزق اللـه شـيخو، دار المـشرق، بـيروت، الطبعـة الثالثـة، تاريـخ الآداب العربيـة القـرن التاسـع عـشر وربـع الأول القـرن العشريـن، ص202

(13)أحمـد المقـري، نفـح الطيـب مـن غصـن الأندلـس الرطيـب، دار صـادر، بـيروت، لبنـان، الطبعـة الأولى، 1997م، ج1، ص67

(14)أحمـد التيفـاشي، سرور النفـس بمـدارك الحـواس الخمـس، المؤسسـة العربيـة للدراسـات، بـيروت، الطبعــة 1980م، ص378

(15)محمد مندور، في الميزان الجديد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة يناير 2004م، ص101

(16)شـهاب الديـن النويـري، نهايـة الأرب في فنـون الأدب، دار الكتـب والوثائـق، القاهـرة، الطبعـة الأولى، 1423هـ، ج11، ص235

(17)أحمد طيفور، بلاغات النساء، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، 1908م، ص165

(18)محمد عمران المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص371

(19)منصـور بـن الحسـين الـرازي، نـثر الـدر في المحـاضرات، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، الطبعـة الأولى، 1424هـ ج6، ص354

(20)عبـد الرحمـن حسـن الميـداني، البلاغـة العربيـة، دار القلـم، دمشـق، الـدار الشـامية، بـيروت، الطبعـة الأولى، 1416هـ ج2، ص243

(21)نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مرجع سابق، ج2، ص288

(22)عز الدين عبد السلام المقدسي، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، دار الفضيلة، القاهرة، ص47

(23)إبراهيم بن علي الأنصاري، نور الطرف ونور الظرف، ص30

(24)الحسين الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ ص221

(25)المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص134

(26)علي بن إبراهيم الأنصاري، القرط على الكامل، ص25

(27)عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة:الرابعة، 1418هـ ج7، ص147

(28)سورة يوسف، الآية 94

(29)ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1422هـ،ج16، ص249

(30)سورة الواقعة، الآية 89

(31)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر، الطبعة الثانية 1420هـ 1999م،ج7، ص548

(32)سورة الإنسان، الآية 5

(33)عبد الكريم عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة، ج3، ص661

(34)سورة الرحمن، الآية 12

(35)محمد طاهر عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ ج27، ص242

(36)سورة المطففون، الآية 25

(37)علي بن أجمد الواحدي، التفسيرالوسيط، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ ج4، ص448

(38)المرجع السابق

(39)محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: 1426هـ ج3، ص560

(40)أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1424هـ، ج7، ص124، حديث رقم 13454

(41)يوسف بن عبد الله القرطبي، الاستذكار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ، ج1، ص365

(42)أبو حيان التوحيدي، أخلاق الوزيرين، دار صادر، بيروت، 1412هـ ص64

(43)محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، حديث رقم 323

(44)(محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ، ج1، ص276

(45)عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، مكتبة الغرباء، المدينة النبوية، تحقيق دار الحرمين، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ، ج2، ص97

(46)محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ حديث رقم 7538

(47)ابن بطال علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، 1423هـ ج9، ص165.